سنة الله في الهدي والضلال، وفيه:

- **المبحث الأول: التعريف بهذه السنة .**
- **المبحث الثاني: عرض الآيات المتعلقة بهذه السنة .**
- **المبحث الثالث: تطبيقات قرآنية علي هذه السنة .**

إعداد الباحث: حسين أحمد سليمان محمدين

إشراف أ.د/ وجيه محمود أحمد . الأستاذ بكلية الدراسات الإسلامية – بجامعة المنيا.

المبحث الأول: التعريف بهذه السنة :

إن الله تبارك وتعالي قادر علي هداية الناس جميعاً، كما أنه سبحانه وتعالي قادر علي إضلالهم، فهم خلقه وعبيده وله حق التصرف فيهم كما يشاء، **قال تعالي (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون)**

والمعني: أنه لو شاء لجعلكم أمة واحدة حنيفية مسلمة " **ولكن يضل من يشاء** " من علم منه اختيار الضلالة، " **ويهدي من يشاء** " من علم منه اختيار الهداية، " **ولتسئلن عما كنتم تعملون** " يوم القيامة فتجزون به[1].

فالهدي والضلال بيد الله "عز وجل" وأنه سبحانه هو الهادي إلي الصراط المستقيم.

وعليه فإنه سبحانه وتعالي لا يظلم أحداً من خلقه، ولكن علي العبد أن يطلب الهداية من الله، يقول الحق تبارك وتعالي: (اهدنا الصراط المستقيم) (

[1]() مدارك التنزيل وحقائق التأويل المعروف بتفسير النسفي، تأليف: أبو البركات عبد الله بن احمد حافظ الدين النسفي (ت 710 هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، تقديم: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب ببيروت، الطبعة الأولي، (1419 هـ - 1998 م)، 231/2.

والمعني: دُلَّنَا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ، وهذا أدَلُّ دعاء علمنا الله أياه، لأن حاجتنا إليه أشد من حاجتنا إلي كل شيء سواه[1]، ولا تتم السعادة إلا بالسير علي ذلك الصراط المستقيم القويم فمن خالفه وانحرف عنه كان في شقاء مقيم[2].

إذن فالحق سبحانه وتعالي يهدي من أراد لنفسه الهداية وسار علي طريقها ويضل من أراد الغواية وسلك سبلها.

أولاً: معني الهداية:

تعريف الهداية في اللغة:

الهاء والدال والحرف المعتل أصلان: أحدهما التقدم والإشارة، والآخر: بعثه بلطفٍ، والمعني: هديته الطريق هداية بمعني تقدمته لأرشده، والهدي خلاف الضلال[3].

الهدي: بضم الهاء وفتح الدال، بمعني الرشاد والدلالة، وهداه بمعني أرشده، وهداه الله الطريق وله وإليه[4]؛ فالهداية تعني في اللغة الوصول إلي الطريق المراد وكذلك تعني أيضاً الرشاد.

ثانياً: في الإصطلاح:

– والهداية في اصطلاح الشرع حين تسند إلى الله تعالى هي الدلالة على ما يرضي الله من فعل الخير ويقابلها الضلالة وهي التغرير[5].

– وهي الإرشاد والتوفيق والتبيين أو الإلهام أو الدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية[6].

– وهي تعني أيضاً الدلالة علي ما يوصل إلي المطلوب، وهي أيضاً سلوك أو طريق يوصل إلي المطلوب[7].

فالهداية سلوك في حياة الفرد يتبعها لينال رضا الله سبحانه وتعالي، ويطلب التوفيق والسداد منه سبحانه وتعالي.

(قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [8].

والمعني أن المهتدين بهدي الله تعالي لا يخافون مما هو آتٍ ولا يحزنون علي ما فات، لأن اتباع الهدي يسهل عليهم سبيل اكتساب الخبرات ويعدهم لسعادة الدنيا والآخرة، ومن كانت هذه وجهته يسهل عليه كل ما يستقبله ويهون عليه كل ما أصابه أو فقده ولأنه موقن بأن الله يخلفه[9].

والإنسان الذي يتبع هدي الله سبحانه وتعالي يعيش في سعادة وطمأنينة، قال تعالي(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدي فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي)[10].

والمعني أن الشقاء في الآخرة عقاب من ضلَّ في الدنيا عن طريق الدين، فمن اتبع كتاب الله وامتثل أوامره وانتهي عن نواهيه نجا من الضلال ومن العقاب[11].

وعن ابن عباس "رضي الله عنه" قال، قال رسول الله "صلي الله عليه وسلم": (من اتبع كتاب الله هداه الله من الضلالة ووقاه سوء الحساب يوم القيامة، وذلك أن الله تبارك وتعالي يقول: " فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي ") [12].

وهذه سنة من اتبع هدي الله سبحانه وتعالي يحيا حياة طيبة كما وعده الله تبارك وتعالي، وعلي العكس فإن الشقاء ينافي أن يعيش أو يحيا الإنسان حياة طيبة وسعيدة.

ثانياً: معني الضلال:

ضَلَّ: الضاد واللام أصل صحيح يدل علي معني واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه، يقال: ضل يَضِلُّ ويُضل لغتان، وكل جائر عن القصد ضال، والضلال والضلالة بمعني واحد، ورجل ضليل ومضلل: إذا كان صاحب ضلال وباطل[13].

وضل الشيء: أي ضاع وهلك، والضلال ضد الرشاد، وتضليل الرجل: أي تنسبه إلي الضلال- وفي محكم التنزيل- **إن المجرمين في ضلال وسعر**[14] أي في هلاك[15].

والإضلال في كلام العرب ضد الهداية والإرشاد، يقال: أضللت الشيء: إذا غيبته، وأضللت الميت: إذا دفنته، وهو يعني أيضاً: النسيان[16].

والضلال: هو سلوك طريق لا يوصل إلي مطلوب، وضده الهدي، فهو يتحقق بسلوك طريق واحد مستقيم، لأن الطريق المستقيم واحد، والضلالة من وجوه شتي بجامع عدم الاستقامة وهي تتفاوت في درجاتها قرباً وبعداً[17].

ومن ثم فإن الضلال هو بمعني العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية أو الإرشاد، ولعل الفرق بين الهدي والضلال واضح جلياً في أن العلاقة عكسية، إذ لا يجتمعان في شخص واحد؛ فالإنسان إما مهتدي وإما ضال.

والهدي أن يكون الإنسان متبع لأوامر الله "عز وجل" ويكون ممتثلاً بأقوال وأفعال الرسول الكريم سيدنا محمد "صلي الله عليه وسلم"، لأن في الاتباع هداية، فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث سيدنا جابر بن عبد الله "رضي الله عنه" أن النبي " صلي الله عليه وسلم " قال وهو يخطب الناس في حجة الوداع، (..... وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بإصبعه السبابة يرفعها إلي السماء وينكتها إلي الناس" اللهم أشهد.. اللهم أشهد")[18].

وسنة الله تعالي في متبع هداه – القرآن الكريم – هو تمتعه بطيب العيش في الدنيا وكذلك تمتعه بالحياة الطيبة كما وعد الله تعالي وكما هو مقتضي سنته[19].

قال تعالي: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) [20].

والمقصود أن هذا وعدٌ من الله تعالي لمن عمل صالحاً، وهو العمل المتتابع لكتاب الله تعالي وسنة نبيه " صلي الله عليه وسلم " من ذكر أو أنثي من بني آدم، وقلبه مؤمن بالله

ورسوله، وأن هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحييه الله تعالي حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمل في الدار الآخرة[21].

والخلاصة تقول أن الهداية أمر مطلوب للإنسان الذي يعرف ربه، إذ يطلب الهداية من الله تبارك وتعالي أن يرزقه إياها حتي لا يفتن من ضلالات الهوي.

المبحث الثاني: الآيات المتعلقة بسنة الهدي والضلال، كما وردتا في سورتي الفاتحة والبقرة:

أولاً: آيات الهدي:

قال تعالي (اهدنا الصراط المستقيم) [22]

قال تعالي (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين) [23]

قال تعالي (أولئك علي هدي من ربهم واولئك هم المفلحون) [24]

قال تعالي (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين)[25]

قال تعالي (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فإما الذين ءامنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين)[26]

قال تعالي (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[27]

قال تعالي (وإذ آتينا موسي الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) [28]

قال تعالي (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون)[29]

قال تعالي (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله علي قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدي وبشري للمؤمنين) [30]

قال تعالي (ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم قل إن هدي الله هو الهدي ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله ومن ولي ولا نصير) [31]

قال تعالي (وقالوا كونوا هودا أو نصاري تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين) [32]

قال تعالي (فإن ءامنوا بمثل ما ءامنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) [33]

قال تعالي (وإن كانت لكبيرة إلا علي الذين هدي الله وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم) [34]

قال تعالي (لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون) [35]

قال تعالي (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [36]

قال تعالي (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدي من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [37]

قال تعالي (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه ءاباءنا أولو كان أباءوهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون)[38]

قال تعالي (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان) [39]

قال تعالي (فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين) [40]

قال تعالي (..... وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدي الله الذين ءامنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلي صراط مستقيم) [41]

قال تعالي (..... فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين)[42]

قال تعالي (لا يقدرون علي شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) [43]

قال تعالي (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) [44]

ثانياً: آيات الضلال فى سورتي الفاتحة والبقرة :

قال تعالي (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) [45]

قال تعالي (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فبما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) [46]

قال تعالي (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين) [47]

قال تعالي (أم تريدون أن تسئلوا رسولكم كما سئل موسي من قبل ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) [48]

قال تعالي (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم علي النار) [49]

قال تعالي (..... فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين) [50]

قال تعالي (أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخري) [51]

تطبيقات قرآنية علي هذه السنة:-

خلق الله سبحانه وتعالي الإنسان وَرَكَّبَ فيه ميلاً إلي الهدي والضلال، ولقد اقتضت سنته سبحانه وتعالي انقسام الناس انقساماً محتوماً علي أساس الإيمان والكفر، والهدي والضلال إلي مصدقين له ومكذبين به معارضين له، ثم تتوالي سنن الله تبارك وتعالي بعد ذلك تعمل عملها في الفريقين[52].

قال تعالي (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدي الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)[53]

فَبَيَّنَ الله سبحانه وتعالي سنته في عباده أن أرسل إليهم الرسل وأمرهم بعبادته، وهذه سنة قديمة لله تعالي مع العباد، وهي أن يأمر الكل بالإيمان وينهاهم عن الكفر؛ وهذه السنة قديمة في حق كل الأنبياء وكل الأمم وكل الملل[54].

أولاً: الهداية:

علي الإنسان أن يكون طالباً للهداية من الله سبحانه وتعالي، وأن يعمل جاهداً لكي يحصل علي الهداية، **قال تعالي (اهدنا الصراط المستقيم)** [55]

والمعني: أي دُلَّنَا علي الصراط المستقيم وأرشدنا إليه، وأرنا طريق هدايتك الموصلة إلي قربك وأنسك، وثبتنا علي الهداية[56].

وقيل أن المعني: دُلَّنَا وأرشدنا ووفقنا إلي الصراط المستقيم، وهو الطريق الموصل إلي الجنة، وإلي معرفة الحق والعمل به، فاهدنا إلي الصراط المستقيم وهو لزوم دين الإسلام وترك ما سواه من الأديان؛ ولعل الهداية في الصراط تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً وعملاً، وهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب علي الإنسان أن يدعو الله بهذا الدعاء في كل ركعة من صلاته لضرورته إلي ذلك[57].

وقوله (اهدنا الصراط المستقيم) ففيه تأويلان: أحدهما: معناه أرْشُدْنا ودُلَّنَا، والثاني: معناه وفقنا, وهذا قول ابن عباس؛ وأما الصراط ففيه تأويلان: أحدهما: أنه السبيل المستقيم، والثاني: أنه الطريق الواضح[58]

وعن أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف "رضي الله عنه"[59] قال: سألت عائشة أم المؤمنين "رضي الله عنها" بأي شيء كان نبي الله صلي الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)[60].

فالنبي صلي الله عليه وسلم كان يطلب الهداية من الله تبارك وتعالي، وأن يرزقه إياها وأن يثبته علي الصراط المستقيم، فنحن أولي بأن نكون قدوة وأسوة بالحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم "" في كل أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته.

ثانياً: الضلالة:

يقول الحق تبارك وتعالي: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) [61].

والحديث هنا عن المنافقين الذين استحبوا الكفر علي الإيمان، وأخذوا الضلالة وتركوا الهدي[62]؛ وهؤلاء المنافقين الذين رَغَّبُوا عن الهدي وسلوك الطريق المستقيم، ومالوا إلي الضلال واشتروه، ولكن لم تكن تجارتهم رابحة، إذ هم أضاعوا رأس المال وهو ما كان لهم من الفطرة السليمة، والاستعداد لإدراك الحقائق ونيل الكمال، فأصبحوا خاسرين آيسين من الربح[63].

وهذا أحسن الأمثلة فإنه جعل الضلالة التي هي غاية البشر كالسلعة، وجعل الهدي الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدي رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة وبئس الصفة صفتهم[64].

وهذا أيضاً يدل علي أنهم خسروا كل شيء لأنهم لم يربحوا، فكأنهم لم يحققوا شيئاً له فائدة وخسروا الهدي، أي خسروا الربح ورأس المال[65]، وهم الذين اختاروا، وهم الذين اشتروا الضلالة ودفعوا ثمنها من هدي الله، فكأنهم عقدوا صفقة خاسرة، لأن هدي الله هو الذي يقودنا إلي الحياة الخالدة والنعيم الذي لا يزول[66].

وهؤلاء تجارتهم غير رابحة لأنهم اشتروا الضلالة مقابل الهداية، وهذا من أنواع التجارة الغير رابحة، لأن الضلالة لا تزيدهم إلا جهلاً وحماقة، وكذلك فهم يزدادون في غيهم بالنسبة الكفر والضلال؛ فأصبحوا من الخاسرين .

المبحث الثالث: آثار الهداية والضلال في حياة الإنسان:

أولاً: آثار الهداية:

مما لاشك فيه أن الهداية هي أمر مطلوب لكل فرد، فهي التي تساعد الفرد علي اتباع أوامر الحق سبحانه وتعالي والامتثال لأوامر وأفعال الرسول الكريم سيدنا محمد " صلي الله عليه وسلم "، وللهداية آثار كثيرة ومتنوعة يشعر بها الفرد المهتدي ومنها:

1- **الخشية لله والإنابة إليه:** والإنسان المسلم هو الذي يعرف ربه حقاً يخشاه ويخافه، قال تعالي (وأهديك إلي ربك فتخشي) [67].

أي: أهديك إلى ربك فتهتدي، ثم تخشاه إذا اهتديت؛ أي: عرفت عظمته وجلاله فتخشى عقوبته، فيكون العلم مثمرا للخشية، وقيل أن المعني أهديك إلى طاعة ربك وأنذرك عقابه إذا عصيته فتخشى فلا تعصيه وأدلك للهداية فتخشي وتخاف[68].

إذن الخشية تكون من الله تعالي وإلي الله تعالي، ولا ينبغي أن تكون لأحدٍ سواه، قال تعالي: (فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) ([69])

والمعني فلا تخشوا الناس فتكتموا ما عندكم من الكتاب خوفا من بعضهم، ورجاء في بعض واخشوني وحدي وأوفوا بعهدي؛ فإن الأمر كله لي[70].

وقيل أن المعني لا تخشوهم فتكتموا ما عندكم من الكتاب خشية أحد، أو طمعا فى منفعة عاجلة منه، واخشوني واقتدوا بمن كان قبلكم؛ فإن النفع والضر بيدي[71].

وعلي ما تقدم نقول ينبغي علي الإنسان أن يخشي الله سبحانه وتعالي، فهو سبحانه الذي يملك النفع والضر، ويملك العطاء والسلب.

2- **طيب العيش في الدنيا:** وهذا ما يأمله ويريده أي فرد داخل المجتمع في أن يعيش حياة طيبة ويكون منتظراً الجزاء الحسن والثواب العظيم من الله سبحانه وتعالي، **قال تعالي (من عمل صالحا من ذكر أو انثي وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)**[72]

فإن هذا وعدٌ من الله تبارك وتعالي لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالي وسنة نبيه "ﷺ" من ذكر أو أنثي من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله، وإن هذا العمل المأمور

به مشروع من عند الله بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا، وأن يجزيه بأحسن ما عمل في الدار الآخرة؛ والحياة الطيبة تشتمل علي وجوه الراحة من أي جهة كانت[73].

وقيل أن الحياة الطيبة هي الجنة، لأن في الدنيا ما ينغص حياته، وقال بعضهم: إن من يكن همه وجهده في الدنيا العمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة، أي: نوفقه ونيسر له الخيرات والعمل الصالح والطاعات[74].

وقال بعضهم: أن قوله تعالي " من عمل صالحا من ذكر أو انثي "، أي: قنع في الدنيا بما قسم الله تعالي له ورزقه، ورضي به، " فلنحيينه حياة طيبة " مما أزال عنه هم طلب الفضل وغمه، وذله وحرصه عليه؛ لأن أكثر هموم الناس في الدنيا وذلهم لما لم يرضوا بما قسم الله سبحانه وتعالي لهم ولم يقنعوا به؛ فهو يحيا حياة طيبة لما عصم من ذلك[75].

والحياة الطيبة التي يحياها الإنسان لا يشقي فيها أبداً، وتكون ابتغاء مرضات الله عز وجل وتكون حياته الدنيا سعادة وسرور والحياة الآخرة الفوز بالجنة والنجاة من النار؛ وهذا كله لأنه متبع هدي الله وهدي النبي محمد "صلي الله عليه وسلم" .

3- **عدم الخوف أو الحزن علي المتبع لهدي الله "عز وجل"**: ونحن نلاحظ أن المتبع لهدي الله "عز وجل" لا خوف عليه ولا حزن، حيث يقول الحق تبارك وتعالي: (قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [76].

والمعني أن المهتدون بهداية الله تعالي لا يخافون مما هو آتٍ، ولا يحزنون علي ما فات، لأن اتباع الهدي يسهل عليهم طريق اكتساب الخبرات ويعدهم لسعادة الدنيا والآخرة[77].

هذه هي خلاصة المهتدين الذين يتبعون طريق الهدي، طريق الأنبياء والمرسلين "عليهم السلام"، الذين يدعون إلي عبادة الله "صلي الله عليه وسلم" وإلي الدين الإسلامي الحنيف، فطريقهم طريق واحد، لا إعوجاج فيه ولا ميل عن الحق والطريق المستقيم، **قال تعالي (قل هذه سبيلي أدعوا علي بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)** [78].

ثانياً: آثار الضلال:

كما للهداية آثار أيضاً للضلالة آثار ومنها:-

1- تضييق الصدر، **قال تعالي (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لا يؤمنون)** [79]

والمعني: أن هذا مثل ضربه الله "عز وجل" لصدر الكافر في شدة ضيق صدره عن قبول الإسلام ونفوره عنه، فهو بمنزلة من تكلف ما لا يطيقه، كما أن من تكلف صعود السماء تكلف بما لا يطاق[80].

وقوله " يشرح صدره للإسلام " أي يخفف عنه متاعب التكليف بحيث لا توجد مشقة، ثم يرتقي بعد ذلك ارتقاء آخر بأن يعشقه في التكليف ويهديه الله إلي طريق الجنة[81]؛ والمضل يشعر دائماً بضيق في الصدر ونفور من التعامل مع الأفراد، ولا يكاد أن يري متسعاً في الأرض ولا في السماء.

2- العيشة الضنك لمن يترك هدي الله : إن الإنسان الذي يترك هداية الله ولا يعمل لتحقيقها يشعر بضيق العيش، حيث يقول الحق تبارك وتعالي (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي)[82].

والمعني أن من خالف أمري وما أنزلته علي رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه فإن له معيشة ضنكاً "أي في الدنيا"، فلا طمأنينة ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء وسكن حيث شاء، فإن قلبه لم يخلص إلي اليقين والهدي فهو في قلق وحيرة وشك؛ فلا يزال في ريبه يتردد؛ فهذا من ضنك العيش[83].

وقيل أن من أعرض عن ذكرى الذي أذكّره به وتولى عنه، ولم يتعظ به فينزجر عما هو مقيم عليه من مخالفة أمر ربه، فإن له معيشة ضيقة شديدة لما يكون فيه من القلق والحرص

على الدنيا والتهالك على ازديادها والخوف من انتقاصها، فترى الشح غالبا عليه والبخل راسخا فى أعراقه[84].

والخلاصة أن من يعرض عن ذكر الله تبارك وتعالي ويكون تاركاً للهداية فستكون عيشته ضيقة ومحدودة، علي العكس من يتبع الهدي .

3- من يعرض عن هدي الله وسنته يقيض له شيطانا:

قال تعالي (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون إنهم لمهتدون) [85]

أي " ومن يعش عن ذكر الرحمن " ويعرض عنه، فلم يخف سطوته ولم يخش عقابه "نقيضَّ " أي: يجعل له شيطاناً يغويه ويضله عن السبيل القويم دائماً لمقارنته له[86].

وقيل أن المعني من يعرض عن ذكر الله وينهمك فى لذات الدنيا وشهواتها نسلط عليه شياطين الإنس والجن يزينون له أن يرتع فى الشهوات، ويلغ فى اللذات، فلا يألوا جهدا فى ارتكاب الآثام والمحرمات على ما جرت به سنتنا الكونية، كما نسلط الذباب على الأجسام القذرة ونخلق الحيات والعقارب والحشرات فى المحال العفنة، لتلطف الجو وترحم الناس والحيوان، وهكذا النفوس الموسوسة للضعفاء توقعهم فى الذنوب لاستعدادهم لها، فينالون جزاءهم من عقاب الله وعقوبات البشر واحتقارهم لهم إلى ما ينالهم من الأمراض الفتاكة والأدواء التي لا يجدى فيها علاج، فيكون ذلك عبرة لهم ولغيرهم وأنى لهم أن تنفعهم تلك الذكرى فقد فات الأوان، ولا ينفع الندم على فات[87].

هذه هي أهم أسباب وأضرار الضلال التي تحيط بالإنسان إذا هو استسلم وانقاد لها، بل عليه أن يواجه كل هذه الضلالات والشبهات التي تكون عليه بالمرصاد إذ هو لم يكن يواجهها سوف تتحول عليه كالوحش الملتهم.

وعلي ماسبق نقول أن للهدي آثار وللضلال آثار أخري، فمن أراد هدي الله "عز وجل" اتبع وأناب لأوامره سبحانه وتعالي واجتنب محارمه وخاف الله حق خيفته، ومن أعرض عن الهداية فقد لزم طريق الضلال التي هي طريق المنافقين والكاذبين.

---

[1]() تفسير المنار 54/1.

[2]() تفسير المراغي 24/1.

[3]() معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 42/6.

[4]() القاموس المحيط، للفيروزأبادي (ت 817 هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ببيروت، الطبعة الثامنة، (1426 هـ - 2005 م)، 1345/1.

[5]() تفسير التحرير والتنوير 188/1.

[6]() فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبو الطيب محمد صديق خان البخاري القِنَّوجي (ت 1307هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري الناشر: المكتبة العصريَّة ببيروت، (1412 هـ - 1992 م)، 50/1.

[7]() التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني (ت 716 هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية ببروت، الطبعة الأولي (1403 هـ - 1983 م)، 256/1.

[8]() سورة البقرة، الآية: 38.

[9]() تفسير المنار 285/1.

[10]() سورة طه، الآية: 123.

[11]() تفسير الزمخشري 95/3.

[12]() المعجم الكبير للطبراني، حديث رقم (12437)، 48/12 ؛ وكذا في المستدرك علي الصحيحين للحاكم، تفسير سورة طه، بلفظ من قرأ القرآن...، حديث رقم (3438)، 413/2.

[13]() معجم مقاييس اللغة لابن فارس، باب: ضل، 356/3.

[14]() سورة القمر، الآية: 47.

[15]() مختار الصحاح، باب: (ض.ل.ل)، 185/1.

[16]() لسان العرب لابن منظور، فصل الضاد المعجمة، 390/11 وما بعدها.

[17]() مفاتيح التفسير، معجم شامل لما يهم المفسر معرفته من أصول التفسير وقواعده ومصطلحاته ومهماته، تأليف: أ.د/ أحمد سعد الخطيب، أستاذ التفسير وعلوم القرآن في جامعتي الأزهر والإمام محمد بن سعود الإسلامية، الناشر: دار التدميرية بالرياض، الطبعة الأولي (1431هـ - 2010م)، 562/2.

[18]() صحيح مسلم، باب حجة النبي" صلي الله عليه وسلم "، حديث رقم (1218)، 886/2.

[19]() السنن الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات، لعبد الكريم زيدان، ص 41.

[20]() سورة النحل، الآية: 97.

[21]() تفسير ابن كثير 352/8.

[22]() سورة الفاتحة، الآية: 6

[23]() سورة البقرة، الآية: 2.

[24]() سورة البقرة، الآية: 5

[25]() سورة البقرة، الآية: 16.

[26]() سورة البقرة، الآية: 26.

[27]() سورة البقرة، الآية: 38.

[28]() سورة البقرة، الآية: 53.

[29]() سورة البقرة، الآية 70.

[30]() سورة البقرة، الآية: 97.

[31]() سورة البقرة، الآية: 120.

[32]() سورة البقرة، الآية: 135.

[33]() سورة البقرة، الآية: 137.

[34]() سورة البقرة، الآية: 143.

[35]() سورة البقرة، الآية: 150.

[36]() سورة البقرة، الآية: 157.

[37]() سورة البقرة، الآية: 159.

[38]() سورة البقرة، الآية: 170

[39]() سورة البقرة، الآية: 185.

[40]() سورة البقرة، الآية: 198.

[41]() سورة البقرة، الآية: 213.

[42]() سورة البقرة، الآية: 258.

[43]() سورة البقرة، 264.

[44]() سورة البقرة، الآية: 272.

[45]() سورة الفاتحة، الآية: 7.

[46]() سورة البقرة ، الآية: 16.

[47]() سورة البقرة، الآية: 26.

[48]() سورة البقرة، الآية: 108.

[49]() سورة البقرة، الآية: 175.

[50]() سورة البقرة، الآية: 198.

[51]() سورة البقرة، الآية: 282.

[52]() السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم جمعاً ودراسة، ص 107.

[53]() سورة النحل، الآية: 36.

[54]() تفسير الرازي 204/20.

[55]() سورة الفاتحة، الآية: 6.

[56]() تفسير القرطبي 147/1.

[57]() تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي (1420 هـ - 2000 م)، 39/1.

[58]() النكت والعيون للماوردي، 58/1.

[59]() **أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف**: هو بن عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب، وأمه تماضر بنت الأصبغ بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب بن هبل من كلب قضاعة، وهي أول امراة من قبيلة كليب نكحها قرشي، فولد أبو سلمة بن عبد الرحمن سلمة وبه كان يكنى وتماضر وأمهما أم ولد، واسم أبى سلمة عبد الله، وقيل: إسماعيل، والصحيح المشهور هو الأول، وهو مدنى من كبار التابعين، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة واتفقوا على جلالة أبى سلمة، وإمامته، وعظم قدره، وارتفاع منزلته، كان ثقة، فقيهًا، كثير الحديث، توفى بالمدينة سنة أربع وتسعين، وهو ابن اثنتين وسبعين، قال: وهذا أثبت من قول مَن قال: سنة أربع ومائة، قالوا: وكان صبيح الوجه؛ أنظر الطبقات الكبري لابن سعد 118/5؛ وكذا فى تهذيب الأسماء واللغات للنووي، 240/2.

[60]() صحيح مسلم، باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه، حديث رقم (770)، 534/1.

[61]() سورة البقرة، الآية: 16.

[62]() تفسير القرطبي 210/1.

[63]() تفسير المراغي 57/1.

[64]() تفسير السعدي 43/1.

[65]() الخواطر "تفسير الشعراوي"، تأليف: محمد متولي الشعراوي (ت 1418هـ)، الناشر: مطابع اخبار اليوم، 164/1.

[66]() تفسير الشعراوي، 241/1.

[67]() سورة النازعات، الآية: 19.

[68]() تفسير المراغي 26/30.

[69]() سورة المائدة، الآية: 44.

[70]() تفسير المنار 330/6.

[71]() تفسير المراغي 124/6.

[72]() سورة النحل، الآية: 97.

[73]() تفسير ابن كثير 516/4.

[74]() تأويلات أهل السنة، "تفسير الماتريدي"، لأبو منصور الماتريدي (ت 333 هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى(1426 هـ - 2005 م)، 568/6.

[75]() السابق نفسه، 568/6.

[76]() سورة البقرة، الآية: 38.

[77]() تفسير المنار 236/1-237.

[78]() سورة يوسف، الآية: 108.

[79]() سورة الأنعام، الآية: 125.

[80]() الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تأليف: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني (ت 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى (1429 هـ - 2008 م).2180/3.

[81]() تفسير الشعراوي 3930/7.

[82]() سورة طه، الآية: 124.

[83]() تفسير ابن كثير 283/5.

[84]() تفسير المراغي 161/16.

[85]() سورة طه، الآيات 36-37.

[86]() محاسن التأويل، "تفسير القاسمي"، تأليف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (ت 1332هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة الأولى (1418 هـ)، 390/8.

[87]() تفسير المراغي 89/25.